

كلمة التحرير

التزكية في منظومة القيم الحاكمة

فتحي حسن ملكاوي

تشمل منظومة القيم الحاكمة، حسب رؤية شيخنا الدكتور طه العلواني ثلاثة قيم أساسية هي: التوحيد، والتزكية، والعمان؛ فلا معنى للدين الإلهي بغير توحيد الله الخالق، وتزكية الإنسان المخلوق، لتمكنه من حمل أمانة الخلافة في الكون، وعمان هذا الكون وبناء الحضارة فيه. فالإنسان المخلوق هو المخاطب بالوحي المترتب من الخالق الواحد، يؤمن بوحدانيته ويقرُّ بالعبودية له، ويوظِّف طاقته العلمية والعملية في إعمار الأرض، وترقية الحياة البشرية عليها، وهو بذلك يحقق مقصد التزكية: تطهيراً وتنمية لنفسه وماليه وعلاقاته.

ويمكننا أن نستقر من هذه المنظومة، التي تبدأ بتوحيد الخالق، وتزكية الإنسان، وتعمير الكون، كل القيم الأخرى؛ فالإنسان الذي يؤمن بوحدانية الله يجد الوحدانية والعبودية أمرتين متلازمتين، يرتبطان ارتباطاً مباشراً، ويجعلان الإنسان ملتزماً بتعليمات الوحي القرآني في الاتصاف بالتقوى، وإقامة مجتمع العدل، والأخوة الإنسانية، وأداء أمانة الاستخلاف، وتوظيف طاقاته في إعمار الكون وبناء الحضارات.

والحديث عن التزكية هو حديث عن مفهوم مركزي من المفاهيم القرآنية، وهدف هذا الحديث هو الاجتهداد في تقديم رؤية معرفية لهذا المفهوم من مرئية قرآنية.

والتزكية مصطلح ومفهوم قرآني أساسي، يتخذ موقعاً مهماً ضمن منظومة القيم القرآنية؛ فالتزكية موضوعها الإنسان المستخلف، وهو موضوع الإصلاح في الواقع الإنساني. إصلاح الفرد والجماعة والأمة. والإنسان مادة وروح، والتزكية تشمل المادة والروح. وأي موضع عن قضايا الإصلاح لا معنى له إلا إذا تعلق بالإنسان، واستهدف ترقيته في مراتب التزكية. والتزكية هدف العمران ووسيلته، فهي ليست مسألة مشاعر وخلجات وخواطر نفسية، مقصورة على مستوى الإصلاح الفردي، بل تدخل في صميم البناء الاجتماعي والعمان البشري.

وَثُمَّة عناصر مهمة لا بد أن يتضمنها الحديث عن التركيـة، منها دلالات المصطلح القرآـيـ للترـكـية، وموقع التـركـية في مدارس الرـهـد والتـصـوف والـجـهـاد، والـترـكـية بـوصـفـها مـكونـاً أـسـاسـياً من مقاصـدـ الـوـحـيـ.

أولاً: معجم ألفاظ الترـكـية في القرآن الكريم

وردت مشتقات الأصل الثلاثي من لفظ التـركـية -زـكـوـ- تـسـعاً وـخـمـسـينـ مرـة، منها: زـكـىـ، وزـكـىـ، وـزـكـىـ، وـزـكـىـ، وزـكـاـةـ، وـزـكـاـةـ، وـزـكـىـ إـلـخـ، ومنـها اـثـنـانـ وـثـلـاثـونـ مرـة بـلـفـظـ الزـكـاـةـ؛ أي زـكـاـةـ المـالـ عـلـىـ وـجـهـ التـحـدـيدـ بـعـنـىـ التـطـهـيرـ وـالـبـرـكـةـ وـالـنـمـوـ، وـأـرـبـعـ مـرـاتـ بـعـنـىـ الـمـدـحـ وـالـشـاءـ، وـأـرـبـعـ مـرـاتـ بـوـصـفـ التـرـكـيةـ مـقـصـداًـ مـنـ مقـاصـدـ الـوـحـيـ الـأـرـبـعـةـ، وـبـقـيـةـ الـأـيـاتـ تـتـحـدـثـ عـنـ مـحـالـاتـ مـخـتـلـفـةـ مـنـ التـرـكـيةـ بـعـنـىـ التـطـهـيرـ وـالـتـرـقـيـةـ وـالـتـنـمـيـةـ وـالـزـيـادـةـ فـيـ الـحـسـنـ وـالـنـفـعـ. وـنـكـتـيـ فيـ هـذـاـ المـقـامـ بـعـدـ مـنـ الـمـوـاقـفـ لـبـيـانـ بـعـضـ الدـلـالـاتـ الـمـحدـدةـ الـتـيـ يـحـمـلـهـ لـفـظـ التـرـكـيةـ فـيـ الـقـرـآنـ.

١. تـركـيةـ الفـردـ الإـنـسـانـيـ

تـتحققـ تـركـيةـ الفـردـ بـدـخـولـهـ فـيـ دـائـرـةـ الإـيمـانـ: ﴿وَمَا يُدِرِّبَكَ لَعَلَّهُ يَرْزَقُ﴾ (عـبسـ: ٣ـ) كـماـ تـتحقـقـ فـيـ تـحـنـبـ السـدـخـولـ فـيـ جـهـنـمـ: ﴿وَسَيَجْنَمُ الْأَنْقَىٰ﴾ (الـلـيـلـ: ١٧ـ) كـماـ تـتحقـقـ فـيـ تـحـنـبـ السـدـخـولـ فـيـ جـهـنـمـ: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَرْزَقُ﴾ (الـلـيـلـ: ١٨ـ١٧ـ)، وـعـنـدـمـاـ يـكـونـ عـائـدـ التـرـكـيةـ خـاصـاًـ بـالـنـفـسـ ذـاهـباًـ: ﴿وَمَنْ تَرَكَ فَإِنَّمـا يَرَكـنـ لـفـقـيـهـ﴾ (فـاطـرـ: ١٨ـ). وـقدـ تـكـونـ نـفـسـ الـفـردـ نـفـساًـ زـكـيـةـ، عـنـدـمـاـ تـتـصـفـ بـالـإـيمـانـ وـالـخـيـرـ وـالـصـلـاحـ وـالـسـرـ: ﴿أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ (الـكـهـفـ: ٧٤ـ) ﴿لَأَهَبَ لَكِ عُلَمَاء رـكـيـئـاً﴾ (مرـمـمـ: ١٩ـ)

٢. قدـ أـفـلـحـ مـنـ زـكـاـهـاـ: أـطـولـ قـسـمـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ:

وـمـاـ يـلـفـتـ النـظـرـ أـنـ أـطـولـ قـسـمـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ يـتـعلـقـ بـتـركـيةـ النـفـسـ: ﴿وَالثَّمَنُ وَخُلـمـهـ﴾ (١ـ) ﴿وَالقـمـرـ إـذـ أـلـلـهـ﴾ (٢ـ) ﴿وَالنـيـلـ إـذـ جـلـلـهـ﴾ (٣ـ) ﴿وَالنـيـلـ إـذـ يـغـشـهـ﴾ (٤ـ) ﴿وـالـسـمـاءـ وـمـاـ بـنـهـ﴾ (٥ـ) ﴿وـالـأـرـضـ وـمـاـ طـلـبـهـ﴾ (٦ـ) ﴿وـنـفـسـ وـمـاـ سـوـنـهـ﴾ (٧ـ) ﴿فـأـلـهـهـاـ بـقـورـهـاـ وـتـقـوـنـهـاـ﴾ (٨ـ) قـدـ أـفـلـحـ مـنـ زـكـاـهـاـ (١ـ) وـقـدـ خـابـ مـنـ دـسـنـهـ (الـشـمـسـ: ١ـ٠ـ١ـ)

نلاحظ أن الله سبحانه يقسم بالعديد من مخلوقاته من الأشياء والأحداث والظواهر، ومن المؤكد أنه سبحانه يقسم بنفسه على شيء عظيم، يتضمنه حساب القسم. وحساب القسم في هذا السياق هو (قد أفلح من زَكَّاهَا، وقد خاب من دسَاهَا) وهكذا يفلح ويفوز وينجح في بغيته من تَحْقِيق بالتركيبة: وهي البعد عمما يُغضِب الله سبحانه من الآثام، والإكثار مما يُرضي الله سبحانه من الأعمال الصالحة، وبذلك ترتفع قيمة النفس. وفي المقابل يخسر وخيب من تَحْقِيق بالتدسيسة: وهي الخصائص التي تحول بين صاحبها و فعل الصالحات، وحرمانها من الترقى والزيادة في الخير، والسمو بالنفس.

والنفس الإنسانية التي يتحقق لها الفلاح بالتزكية، وتُلْقَى في مهافي الخيبة والخسران بالتدسيسة، هي الذات الإنسانية جسماً وعقلاً وروحاً، وهي الفرد الإنساني والجماعة الإنسانية. وللذات الإنسانية مال تمتلكه بتفويض من مالكه الأصلي، وهو الله سبحانه، ولها بيئة مكِّن الله لإنسان فيها واستخلفه عليها، ليسخُر أشياءها وأحداثها وظواهرها في الإعمار، والبناء الحضاري. لكن محور التزكية في كل ذلك هو الوجودان الإنساني الذي يكون موضوعاً للترقية والتربية والتنمية. وهذا الوجودان وجدان: وجودان نزوعي ووجودان إدراكي، والوجودان التزوعي له دوافع غريزية وحاجات مادية، ويرتبط بما يصفه القرآن بالنفس الأمارة بالسوء، النفس التي تنتهي إلى أنَّ الإنسان خلق هلوعاً. أما الوجودان الإدراكي فتمثله دوافع الفطرة البشرية في تلمس الحاجات الروحية، ويتحرك الإنسان معها من بعد المادي إلى الروحي، فت تكون لديه نفس لومة، لا تزال تترقى في درجات التزكية لتصبح النفس المطمئنة، التي تستحق خطاب الله سبحانه لهـ: «أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْبُسَةً» ^{٢٨} فَادْخُلِي فِي عَبْدِي ^{٢٩} وَادْخُلِي جَنَّتِي ^{٣٠} (الفجر: ٢٨-٣٠)

٣. ترکية المشاعر النفسية والعلاقات الاجتماعية:

وكثيراً ما يرد لفظ التزكية بمعنى التطهير والترقية للمشاعر النفسية وللعلاقات الاجتماعية. فعندما يحدث الطلاق بين الزوجين، فإنَّ النفوس ربما تكون مهيأة للبغضاء والشحنة وقطع أواصر الحب والمودة، مما قد يدفع أهل الزوجة إلى عضلُها؛ أي منعها من العودة إلى زوجها، مع رغبة كلِّ منهما في هذه العودة، فيخبرهم الله سبحانه أنَّ

في هذه العودة خيراً لهم جميعاً، وأن هذه العودة أطهر لقلوبهم من الريبة والشك، ولدوم الود والمحبة؛ فالمسألة هنا إذن مشاعر وخواطر نفسية تُزكي القلوب، وتحدد العلاقات والأنظمة القائمة في المجتمع، و تعالج القضايا الاجتماعية.

﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَحْصُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوَعَّظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَزْكَ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنَّمَا لَا تَعْلَمُونَ﴾
(البقرة: ٢٣٢)

فأزكي لكم إذن تعني: "أوفر للعرض وأقرب للخير، فأزكي دال على النماء والوفر، وذلك أنهم كانوا يعشلوهن حميمية وحفاظاً على المرءة من لحاق ما فيه شائبة الخطيبة، فأعلمهم الله أن عدم العضل أوفر للعرض، لأن فيه سعيًا إلى استبقاء الود بين العائلات التي تقارب بالصهر والنسب، فإذا كان العضل إبادية للضيم، فالإذن لهن بالمراجعة حلم وعفو ورفاء للحال..."^١

والفاظ "أزكي لكم" وأزكي لهم تتكرر في سياق ما قد يحييك في النفس نتيجة بعض الممارسات، فالاعتذار عن استقبال الضيوف في المنزل احتراماً للخصوصيات، وغض البصر وحفظ الفرج صيانة للأعراض، يرافقهما تطهير الضمير والشعور، وتطهير العمل والسلوك، وتطهير لحياة الفرد وسريرته وواقعه؛ إذ ترتفع به وبتصوراته إلى الملا الأعلى، فيكون مستشعراً مراقبة الملا الأعلى لخلجات قلبه وسلوك جواره
﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ أَتَيْجُوهُمْ فَأَتَيْجُوهُمْ هُوَ أَزْكَ لَكُمْ﴾ (النور: ٢٨) ﴿فُلِّ الْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوُ مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَنْهَفُطُوا فِرْوَاهُمْ ذَلِكَ أَزْكَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ لَكُمْ﴾ (النور: ٣٠)

٤. تركية المال:

أما لفظ الزكاة بمعنى الفريضة المعروفة في أركان الدين الخمسة، فإن الإمام محمد الطاهر ابن عاشور يقول: "لا أحسب استعمال الزكاة -معنى المال المبذول لوجه الله- ورد بهذا المعنى إلا في مصطلحات القرآن الكريم، ولم يرد بهذا المعنى قبل نزول القرآن الكريم."^٢ ولما كانت صورة الزكاة قد بحثت في الحس المعاصر الذي لم يشهد نظام الإسلام في عالم الواقع، فإننا بحاجة إلى بيان موقع الزكاة في الدين، وفي شؤون الحياة

^١ ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتبيير، ج ٢، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م، ص ٤٢٨.

^٢ المرجع السابق، ج ١٨، ص ١٢.

الاقتصادية والاجتماعية، ذلك أن النظام الاقتصادي المعاصر يقوم على الفائدة الربوية، ولا يتصور أكثر الناس وجود نظام صالح يقوم على غير هذا الأساس، ولا يتتصورون الزكاة أكثر من إحسان فردي لا ينبع على أساسه نظام عصري.

أما الزكاة في المفهوم القرآني فإنها ركن في الدين؛ ركن قسيم لشهادة التوحيد والصلوة والصيام والحج. والزكاة ركن فريد في النظام الاجتماعي العام، وظيفته تطهير النفس من الشح والاستعلاء على فتنة المال، والقيام بحق الجماعة وأعضائها. والزكاة ركن مهم في النظام الاقتصادي؛ فجباية المال في الإسلام عبادة، وهي سهم معلوم من مال الفرد يرده للمجتمع، وذلك عندما يصبح المال مملوكاً للفرد الذي يملك المال، ويملك حرية التصرف فيه؛ لأنّه كان نتيجة للسعى والكسب. وهو سهم يرتبط بالإنتاج والعائد الزراعي والصناعي والتجاري. وترتبط الزكاة بالمواعيد والمقادير؛ فالزكاة تجب في المال الذي يزيد عن مقدار محدد، في ما بقي موجوداً لدى مالكه بعد الحصول، أو يدفع في مواعيد محددة، **﴿وَآتُوا حِقَهُ يَوْمَ حِصَادِهِ﴾**، وما يدفع منه هو نسبة مئوية تكون قيمتها ربع العشر، أو نصف العشر، أو العشر، أو الخمس، بحسب أصناف المال، وطبيعة العمل المبذول في كسبه. وقد تصل إلى نسبة المال الذي يصرف في مصالح المجتمع إلى مائة في المائة في حالة مصادر الطاقة التي لا تجوز فيها الملكية الخاصة.

والزكاة وسيلة مضمونة للبركة والريادة **﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبَاحٍ لَّيَرُؤُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَوُا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رُكُوقٍ ثَرِيدُونَ وَجَهَ اللَّهُ أَفْلَكَ هُمُ الْمُضْعَفُونَ إِذَا﴾** (الروم: ٣٩) فمن أراد التجارة الرابحة التي تتضاعف فيها الأموال، فأمامه الزكاة.

والله سبحانه يَعْدُ الناس أن يكون معهم، **﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾** (المائدة: ١٢) وما أعظمها من معية! لكن هذه المعية لا تتحقق إلا بشروط، والزكاة من هذه الشروط: **﴿لَئِنْ أَقْمَتُمُ الصَّلَاةَ وَإِاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَأَمْنَتُمْ رُسُلِيَ وَعَزَّزْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّهُ﴾** (المائدة: ١٢) معية الله وعد عظيم، تهدى الإنسان وتحفيه، ولكنها معية مشروطة، فهي: "... طاعة له في التصرف وفق شرطه... وإقامة لأسس الحياة الاقتصادية على المنهج الذي يكفل ألا يكون المال دولة بين الأغنياء، وألا يكون تكدس المال في أيدي قليلة سبباً في الكساد العام، بعجز الكثرة عن الشراء والاستهلاك، مما ينتهي إلى وقف دولاب الإنتاج أو تبطئته، ويفضي إلى الترف في جانب والشظف

في جانب، وإلى الفساد والاحتلال في المجتمع... كلُّ هذا الشر تحول دوئه الزكاة، ويتحول دوئه منهج الله في توزيع المال ودورة الاقتصاد...^٣.

ثانياً: تركيبة الأمة في مقاصد الوحي

يظهر لفظ التركيبة في القرآن الكريم في أربع آيات، تكون فيها التركيبة مقصدًا مباشراً من مقاصد الوحي، ولا سيما في الوحي المترتب على خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم. وهذه الآيات هي بالتحديد:

- ﴿رَبَّنَا وَأَجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ دُرِّيَّنَا أَمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرَى مَنِ اسْكَانَا وَبَشَّ عَيْنَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْتَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴾١٦٨﴾ (البقرة: ١٢٩-١٢٨)

- ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَسْأُلُونَ عَيْنَكُمْ إِنَّنَا وَرِزْكِكُمْ وَيَعْلَمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ وَهُمْ ﴾(البقرة: ١٥١)

- ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتَلَوُ عَلَيْهِمْ مَا أَنْتُمْ بِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ لَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٦٤)

- ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ كَذَنْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَسْأُلُونَعَيْنَهُمْ إِنَّنِي وَرِزْكِهِمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ هُوَ﴾ (الجمعة: ٢)

ففي الآية الأولى دعاء إبراهيم عليه السلام إلى ربه سبحانه: أن يجعل من ذريته "أمة مسلمة"، وأن يبعث في هذه الأمة "رسولاً منهم" ليحقق لهم أربعة مقاصد، هي: يتلو عليهم آيات الله، ويعليمهم الكتاب، ويعليمهم الحكمة، ويزكيهم. وفي الآيات الثلاث الأخرى بيان من الله وتفصيله بالاستجابة لدعاء نبى الله إبراهيم عجيه الأمة المسلمة وبعث نبىها محمد صلى الله عليه وسلم. ونكتفي هنا بتسجيل ملحوظتين، الملحوظة الأولى أن التركيبة قد وردت في دعاء إبراهيم عليه السلام في الموقع الرابع من المقاصد، لكن التركيبة في الآيات الثلاث الأخرى قد وقعت في الترتيب الثاني بعد تلاوة الآيات. والملحوظة الثانية أن التركيبة كانت في حق الأمة المسلمة التي كانت دعوة نبى

^٣ قطب، سيد. في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق، مجلد ٢، جزء ٦، ص ٨٥٧.

الله إبراهيم عليه السلام، وفي الأمة التي يخاطبها الله سبحانه: كما أرسلنا فسيكم، وفي أمة المؤمنين، وأمة الأميين. فلم يكن مقصد التركية إذن، ولا أيُّ من المقاصد الثلاثة الأخرى، يتعلق بالفرد وتربيته نفسه، وبناء شخصيته، وترقية وحداته، وإنما كان يتعلق ببناء الأمة وتربيتها.

وترسم هذه الآيات الأربع منهاجاً في تربية الأمة يتكون من أربعة أركان، تتكامل فيما بينها، وتتضارف مكوناتها في بناء الأمة، وفي رسم صورها وتحديد خصائصها. الركن الأول هو تلاوة الآيات؛ ويتضمن ذلك محظ الأمية، والارتفاع إلى مستوى التكريم الإلهي بتلاوة آياته والانتفاع بما فيها. والركن الثاني هو التركية، وتشمل خصائص الطهر والبركة والتنمية، والركن الثالث هو تعليم الكتاب؛ أي تعليم ما فيه من علم وهدى. أما الركن الرابع فهو تعليم الحكمة؛ أي تعليم مادة الكتاب وثمرة تعليمه، وهي الإصابة في القول والفعل والعمل، واكتساب ملكة البصر بالأمور، ووضعها في نصاها، وزعها بعوازينها، وإدراك أسبابها وغايتها.

ثالثاً: التركية في مدارس الزهد والتتصوف والجهاد

في عهد الصحابة ظهر ميل عن بعضهم لاختيار الزهد نمطاً معيناً من السلوك الاجتماعي في العلاقة مع الناس، وهو نمط تطور فيما بعد ذلك إلى شيء من العزلة، عندما تزايدت مظاهر الاحتفال بالدنيا لدى بعض الفئات، وتواترت الفتن السياسية، وانتهى الأمر إلى تحول الزهد والعزلة إلى ما عرف بالتتصوف؛ فمضمون التتصوف أساساً هو الزهد في متاع الدنيا، والإكثار من أعمال التقرب إلى الله سبحانه، ولا شك في أنَّ ذلك من صور التركية، والتدين الإسلامي بصورة عامة. لكنَّ الأمر أخذ بعد ذلك صوراً من التجمع في فئات محددة يقوم أفرادها بالالتزام بتعليمات قيادة محددة، وأنماط من السلوك المحدد، في مجالات العبادة والذكر، وفي مجال العلاقات بين أفراد الجماعة، كما انتهت إلى استخدام مفردات ومصطلحات خاصة، قد يكون لها في الظاهر العام دلالات معينة، ولكن لها دلالات أخرى في الباطن الخاص بالجماعة أو بشيخ الجماعة. ومثال ذلك ما عرف في بعض نظم التتصوف المنظومة الثلاثية: (التخلّي - التحلّي - التجلّي). فإذا كان التخلّي يعني ضرورة الإقلاع عن الآثام،

وكان التحلّي ضرورة الأخذ بالصفات الفاضلة، فإن ممارسة التخلّي والتخلّي إلى مستوى معين يمكن أن يدخل فيه "المريد السالك" حالةً من الشفافية الروحية، والرفعة الوجدانية، يسمونها التحلّي، حين يستشعر السالك فيها تجلّي الحضرة الإلهية عليه.

لكن بعض ممارسات التصوف شهدت ألواناً من السلوك البدعوي والألفاظ البدعية، وبقيت بعض ممارساته ضمن دائرة المألف من الزهد والترقى في مراتب التزكية، كما عرفت بعض جماعات التصوف ألواناً من الجهاد ضد أعداء الدين، وعملت على نشر الدين في كثير من البقاع في إفريقيا وآسيا.

ومن الممكن أن تخيل أن التزكية ألوان من الجهاد؛ جهاد للنفس: والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا، وجihad بالنفس: وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، وجihad بالمال؛ فالذى يؤتى ماله فإنه يتزكى.

خاتمة:

وهكذا فإن التزكية تكون للفرد ول المشاعر النفس، وخلجات القلب، وسلوك الجوارح، فقد أفلح من الناس من تزكى، حين يتفضل الله عليه بالتزكية. وتكون التزكية للجماعة والأمة؛ فالنبي المبعوث للأمة يزكيها، يزكي علاقات الناس، وأنظمة الحياة. وتكون التزكية للمال، فركاوة المال تطهير، وبركة، وتنمية، مال الفرد ومال المجتمع.

والله يزكي من يشاء.

اللهم آت نفوسنا تقوها وزكّها أنت خيرٌ من زكّاها... آمين